



التاريخ: 10/ محرم/ 1443هـ

الرقم: 13/2021/369

الموافق: 19/ آب/ 2021م

قرار: 198/2

❖ حكم مجادلة العلماء، وإثارة الشكوك حول أقوالهم وآرائهم، والجهر بذلك في المساجد؟

❖ السؤال: ما حكم مجادلة العلماء، وإثارة الشكوك حول أقوالهم وآرائهم، والجهر بذلك في المساجد؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،
المجادلة مصدرٌ مشتقٌ من الفعل جَادَلَ، نقول: جادلَ جَدَلًا وجَدَالًا ومُجَادَلَةً، بمعنى المناظرة والمغالبة، لإلزام الخصم وإفحامه، وهي بهذا المعنى تختلف عن الجدل المحمود الذي يعني المناقشة التماساً للحقيقة، والوصول إلى الصواب، ولهذا جعل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الجدال علامة الضلال بعد الهدى، فعن أبي أمامة الباهلي، قال: " قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدَل" [سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف، وحسنه الألباني] وأكد هذا المعنى الإمام الأوزاعي، رحمه الله تعالى، حين قال: "إذا أراد الله بقوم شرًّا أزمهم الجدل، ومنعهم من العمل" [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 164/1]

ويُفهم من ذلك أن الجدل على نوعين: محمود ومذموم، فالمحمود منه ما كان عن علم وبصيرة، وغايته تحقيق الألفة بين القلوب، والترغيب في الخير، وإظهار الحق، ونصرته بالتي هي أحسن من الرفق واللين، والإقناع بالأدلة والبراهين، وهو ما حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، وأما المذموم فغاياته تقرير الباطل، والانتصار له بالمماراة والخصومة، بقصد الشهرة، والسعي إلى الغلبة ولو بالباطل، ولهذا حذر جمهور أهل العلم من مغبة هذا النوع من الجدل، وعدوه مدخلًا من مداخل الشيطان؛ كونه يؤدي إلى تشتيت الألفة، وإذكاء العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع، وقد ورد النهي عنه في كثير من النصوص والآثار، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴾ (الحج: ٣)، وكذلك ورد التحذير من الجدل المفضي إلى التباغض والتباعد والكبر في السنة النبوية المطهرة ، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: " قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « إن أبغض الرجال إلى الله الأَكْدُ الخَصِمُ » [صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب قول الله تعالى: ' وهو ألد الخصام' (البقرة: 204) .]

وإذا كان الإسلام قد حرم الجدل المذموم بوجه عام، فإن تحريمه أوكد وأشد خطراً إن جرى مع العلماء، والإساءة إليهم داخل المساجد، المجمع على حرمتها، والمنهي حتى عن رفع الأصوات في رحابها، فقد ثبت عن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، أنه خرج ذات يوم إلى الناس في المسجد وهم يقرؤون، قد رفعوا أصواتهم، فقال: « إن المصلي يناجي ربه عز وجل، فلينظر أحكم بما يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالفراءة » [مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال الأرنؤاوط : حديث صحيح] . وجاء في حديث آخر: « وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ » [صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها ...]، ومعنى هيشات الأسواق : ' أي اختلاطها ، وهذا تحذير من الفتنة وأسبابها (تفسير غريب ما في الصحيحين، البخاري ومسلم : 683 / 12)

وأجمع أهل العلم على أن مجادلة العلماء داخل المساجد من قبل من هم على غير قدرٍ من العلم والمعرفة، ومنازعتهم، متعمدين التشكيك بأقوالهم والحق من أقدارهم، فيه إثم عظيم، ذلك أن العلماء هم حماة الدين وحُرَّاسُه، بل هم أولياء الله الذين وصفهم رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، بأنهم أولياء الله، فعن سعيد بن جبير، قال: قيل: يا رسول الله ، من أولئك الذين هم أولياء الله ؟



التاريخ: 10/ محرم/ 1443هـ

الرقم: 13/2021/369

الموافق: 19/ آب/ 2021م

قرار: 198/2

قال: « هم الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله » (الألباني : السلسلة الصحيحة ٤ : ٣١١)، وقد نوه القرآن العظيم بمكانتهم ، وسمو منزلتهم في آيات عدة ؛ إذ جعلهم شهوداً على توحيد الله وربوبيته، قال تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران: 18].

وورد في السنة المشرفة ما يؤكد هذا التكريم الرباني، فعن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » [سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وصححه الألباني]. ومع جلاء هذه النصوص الدالة على توقير العلماء وتقديرهم، فلا يمكن لعاقل أن يهدر مكانتهم، أو يتتبع زلاتهم، بل يجب على المسلم أن يوفيهم حقهم من الإجلال والتعظيم، وما يجري أحياناً في بعض المساجد، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، من جدل يتعمد المبادرون إليه إلى الحط من أقدار العلماء وازدرائهم، هو أمر مستنكر وخطير؛ لأنه يؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان الثقة بهم، وتعطيل الانتفاع بعلمهم، ومعلوم أن هدم قمم العلم ورموزه مقدمة لهدم الدين نفسه، وإطفاء جذوته، فالفدح في الحامل - كما يقال - قدح بما يحمله.

ويرى مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين أن الأصل في الجدل بين عامة الناس المنع، وأن تزكُّه والإقلاع عنه من كمال الإيمان، ومن أمارات حسن الخلق، أما مجادلة العلماء في المساجد بغير دراية أو علم، وتعمد الافتراء عليهم بالتشكيك في آرائهم والتهوين من مكانتهم، فمحرم مطلقاً بإجماع أهل العلم، لما ينجم عنه من عواقب وخيمة، وأضرار بالغة، تمس العقيدة من جهة، وتشتت الألفة والوئام بين أبناء المجتمع من جهة أخرى.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال إغلاق الباب في وجه أنواع الجدل كلها، ولا سيما المحمود منه، فلا حرج على أهل العلم أن يتناقشوا ويتبادلوا وجهات النظر مع نظرائهم في المساجد. مع توافر شروط المناقشة وآدابها، كما نص عليها الفقهاء، وأهمها أن تكون الغاية من النقاش إظهار الحق، والوصول إلى الصواب، والتوعية بثوابت العقيدة، والأحكام الشرعية، والابتعاد عن التعصب الذميم للرأي، وعدم تجريم الطرف المُحاور، ووصف مذهبه بالبطلان، وأن يكون المبادر إلى الجدل أهلاً له، وليس أداة لمن يبتغون الفتنة، وإثارة الخلاف والشقاق بين المسلمين، مع ضرورة أن يصل المتحاوران إلى نتيجة دالة ومقنعة؛ لأن الجدل ليس هدفاً في حد ذاته، فما لم تكن له نتيجة فهو مضيعة للوقت، ومجلبة للتنافر، والتدابير والخلاف.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل